### «تدمر.. الصراع العنيف» عرض من فنونِ ما بعد الحداثة

# فصيح كيسو لـ«الوطن»: لا أقدم عروضاً للإمتاع... تجريبيّ الفكرة والعناصر إلى أقصى حد

سوسن صيداوي - تصوير: طارق السعدوني

لإثارة الإرباك، ولتعيش الحالة لابدّ من تحقيق فوضى في الحواس، مع تحقيق فراغ كبير في اللاوجود، والضياع في البعثرة. وعند الوصول إلى هذا النزق العبثي من الاضطراب في النفوس والأفكار مع المشاعر، سواء عبر الصورة والصوت، فيما يُرى ويُسمع، مع الاهتزاز تحت الأرض، سنصل إلى خلق قريب بنسبة معينة من حالات تخلقها الحروب بنيرانها وتخريبها، وبتشويه أهوالها للمألوف، ومن الكلمة الأخيرة «المألوف» خرجنا في عرض من فنونِ ما بعد الحداثة «تدمر.. الصراع العنيف» في تجربة ليست بغريبة عما يقدمه لنا الفنان فصيح كيسو من جديد، مختلفا بالفكرة ومتجدداً بتقديمها باستخدام أدوات «مقاطع فيديو –رقص حي– موسيقا وغناء... إلخ» اجتمعت لمدة ساعتين تقريباً لتثير الإرباك في الحضور الذي لم يكن نمطي الجلوس في فرجة معتادة، بل بقي واقفاً ومتجولاً في أرجاء الصالة ليتابع مراحل العرض على خشبة مسرح الأوبرا، في دار الأسد للثقافة والفنون بدمشق. وحول العرض وأمور أخرى نقدم لكم:

> العرض يمثل سورية بتنوعها بطريقة خارجة عن المألوف

### لماذا تدمر؟

بداية جاء جواب د. فصيح كيسو في سؤالنا عن العنوان «تدمر: الصراع العنيف»، واختياره لتدمر بالذات لتحمل وزر الحرب وخرابها: «تدمر هي جوهر وروح الحضارة السورية، وتحمّلت –كغيرها طبعاً– بشكل أفظع وأوضح من باقي المناطق الآثارية، الصراع بين ما هو ظلامي وسلفي وبين ما هو لهذه الحضارة العظيمة من قيمة. إذا الجماعات الإرهابية أرادت تدمير روح الحضارة السورية بالعموم، وتدمير روح تدمر بالخصوص قبل تدمير الحجر فيها. هذا وإضافة إلى أنه ومن خلال اغترابي عن الوطن لمست حب الأجانب لتدمر ولحضارتها وآثارها، فكلّهم يعرفونها وعندما يأتون إلى سورية لابدّ من أن يقوموا بزيارتها.

وعن شعوره حين قام بزيارته الأولى لتدمر بعد أربعة أيام من استرجاعها من داعش تابع يقول: «الزيارة لم تكن منفردة لي بل كنا فريقاً كبيراً من السياسيين والإعلاميين والآثاريين... إلخ سواء سوريون أم أجانب، وبصراحة لقد صدمنا الخراب الهائل من الدمار، كما شعرت بالرعب والغرابة، مع الحزن والقهر الشديدين لما آلت إليه هذه العظمة الحضارية من كوارث التدمير والتخريب».

### تنويع المواد

في تفاصيل أكثر حول عرض «تدمر.. الصراع العنيف» لابد من التذكير بأن العمل يصبّ في تيار الفن المعاصر، وتضمن عناصر: تجهيز الفيديو، الأداء الحي، تجهيزات صوتية وإضاءة وغيرها، كما استفاد من كواليس وخشبة الصالة الرئيسية بدار الأوبرا، تاركاً –كما ذكرنا– للجمهور حرية التنقل في الأماكن التي يريد شغلها دون التقيد بالجلوس على المقاعد. ومن العناصر التركيبية نذكر لكم كيف أولا وضع سقف فوق الجمهور تم إحضاره من سوق حمص القديمة وهو عبارة عن صفائح توتياء مثقوبة من طلقات الرصاص والتفجيرات التي تعرضت لها المدينة، وتم تجهيزه بإضاءة منتشرة بلون ضوء الشمس وأطلق على هذا العمل «ثقوب الشمس» ليطرح تساؤلاً عما إذا كان التشويه –رغم إدانته– يخلق جماليات غير متوقعة.

وأيضاً الأداء الحي الذي أطلق عليه «فيتامين» فكان أداء لمجموعة من الراقصين المعاصرين الذين قاموا بتشكيلات جسدية حية على أنغام مقطوعات من موسيقا فيفالدي «الفصول الأربعة»، حيث يرتدي الراقصون الأغطية الصوفية على هيئة أزياء قامت بتوزيعها المنظمات الدولية، لإثارة السخرية رغم الوجع، كما رافق هذا العرض فيلم رسوم متحركة بالأسود والأبيض.

ولكن حول هذا التنوع في العرض شرح لنا الفنان كيسو: «يطرح العمل أسئلة عن تدمير التراث القديم من عمارة وفنون، وكيف تمّ استهداف الإنسان فكرياً وجسدياً. هذا وكلّ المعارض التي قدّمتها في الدول الأجنبية سواء في أستراليا أم في الدول الأوروبية، كلّها كانت مبنية على التنوع في استخدام المواد. ففي بداية مشواري الفني بدأت بالتصوير الضوئي، ومن بعدها اتجهت نحو الرسم والتلوين على الصورة الضوئية، ثم انتقلت إلى ما نسميه خلق تكوين في الفضاء، ومن بعدها أضفت الفيديو من عناصر العرض ومن ثم الأداء الحي وهذا كله منذ عام١٩٩٨. أما بالنسبة لعرض «تدمر.. الصراع العنيف» لقد اشتغلت عليه مدة ثلاث سنوات، وأعمل بالتزامن معه على معرض آخر، وله علاقة بالثقافة السورية وما نتعارف عليه... بالموزاييك، خلاله أعمل على تقديم قراءة جديدة للحرفية والخروج من المألوف إلى التجديد».

وفي سؤالنا عن أن عرض «تدمر.. الصراع العنيف» صعب المتابعة ويحتاج إلى الكثير من التركيز بتجهيزاته المتنوعة، أجابنا: «أنا لست بمسرحي ولا أقدم عروضاً للإمتاع، بمعنى الجمهور لدي لا يأتي ويجلس على كرسي ويتفرج مدة ساعة، بل عروضي هي من ضمن نطاق الفنون المعاصرة التي هي من أجواء المتاحف وصالات العرض الضخمة الخاصة والعامة، وجمهوري هو الذي يتابع الفنون التشكيلية وليس من يتابع فنون الرقص والباليه – على الرغم من أني أتمنى أن يتابعني كل الناس بغض النظر عن ميولهم– ولكن الهدف من عروضي هو إيصال فكرة من خلال تعدد المواد والعناصر الداخلة في العرض، وأشير هنا إلى أنني أثير إرباك المشاهد، ففي عرض عام ١٩٩٨ في ملبورن، حققت الغاية من خلال تنوع المواد التي استخدمتها من صوت وفيديو وأعمال مطبوعة على القماش، وأشدد هنا أن كثرة المواد هو أمر تجريبيّ دائما، وأحاول خلالها تفهيم المشاهد ما يدور في العرض سواء من أداء أو فيديو.. إلخ».

وعن مساهمته الفنان فصيح كيسو في تطوير تيار الفن المعاصر قال: «في الحقيقة لمّا أتيت إلى سورية قبل الأزمة من استراليا، كان هدفي الخوض بفن ما بعد الحداثة، وكنت قدمت في عام ٢٠٠٥ ثلاثة معارض في سورية، فيها مواد متنوعة مختلفة من ناحية الأفكار والمواد، فأنا فنان تجريبي إلى أقصى حد، وهدفي الأساس هو نشر هذا النوع من الفنون، وقد قمت بتأليف مقرر خاص بجامعة القلمون واسمه «الفن الآن» ويضم كل ما يحدث في الفن في العالم. وبصراحة حتى اللحظة لم ألمس الفرق بين الشباب الذين درستهم المقرر بين ٢٠٠٩ والوقت الحالي، بمعنى ما بين الحرب وما قبلها، ولكنني سأرى الفرق في هذا الفصل الدراسي، ومع ذلك تجدر الإشارة إلى أن هناك تجربة سابقة للطلاب كنا عرضناها في دمشق ومركز الفنون الجديدة لدي في الحسكة، وكانت النتيجة رائعة جداً.

كما أحب أن أضيف وبالعودة للسؤال، إنه باعتقادي هذا التطوير يحتاج إلى تاريخ وإلى عمل يتطلب زمنا طويلاً. وبقي أن أقف عند نقطة أنه إذا عمل الفنانون على أدوات هذا الفن، فهذا لن يلغي الفنون الأخرى من نحت أو تصوير، فلا شيء يلغي الأخر في الغرب، ولكن التنويع بالطرق هو الوارد مع التجارب، وهذا ما نحن بحاجة إليه، وعلينا أن نتعود رؤية المختلف، كما أتمنى أن نشاهد تجارب أكثر للفنانين السوريين الذين يعملون في هذا الإطار، وخصوصاً أنه في لبنان بدأ يأخذ مكانه بشكل واضح، وأصبحنا نلمسه مؤخراً في العراق، وحتى في الإمارات حالات التعبير في الفنون مختلفة جدا، إذاً نحن بحاجة للتنوع في فنوننا».

### في كلمة أخيرة

في ختام الحديث وجه الفنان والدكتور في جامعة القلمون فصيح كيسو كلمة لسورية ولطلابه حملة رسالة الثقافة والفن «أعتقد أنه علينا أن نوّحد الكلمة باتجاه بناء سورية، وأن تكون مع اختلاف الانتماءات التي هي نتيجة الاختلاف العقائدي والديني والفكري وحتى السياسي، فالتنوع هو حالة تؤدي إلى التطور وهذا ما تبنّته الدول المتطورة والحديثة التي تشكلت منذ خمسمئة سنة أو أقل. إذاً هذا الأمر يتطلب منا أن نغذّي فكرة الاختلاف ونقبلها، ففي النهاية نحن نعيش في بلد واحد رغم اختلافاتنا المتنوعة التي ستغنينا في كل المجالات وليس فقط في الفن. وأخيراً الهدف هو سورية ولا نستطيع أن نتطور إلا إذا اعترفنا باختلاف ببعضنا».

---

### المجتمع الأهلي استقلالية عن الدولة وتنظيم ومبادرة

# أخطر ما يهدد الجمعيات السلوكيات الخاطئة من إداراتها

جُمان بركات

جمع كتاب «إستراتيجية إدارة الجمعيات الأهلية وأثرها في التنمية الشاملة» الصادر عن دار البشائر ولمؤلفه د. محمد جهاد بسام الصباغ بين فنون وعلوم، ورصدت لحظة تاريخية عصيبة تمر على دمشق وما حولها، محاولة تجلية صورة العمل الأهلي غير الحكومي في حالتي السلم والحرب، همها رأب صدع حاضر، وضبط وضع قائم، واستشراف مستقبل آت، مستفيدة من تجارب الجمعيات العالمية في مجال العمل التطوعي للارتقاء به في بلادنا، وأنه علم يخضع لمقاييس الجودة، بعيداً عن العشوائية أو العاطفية أو التلقائية، وأن الجمعيات الأهلية غير الحكومية أضحت في دائرة الدراسات الإدارية والأكاديمية.

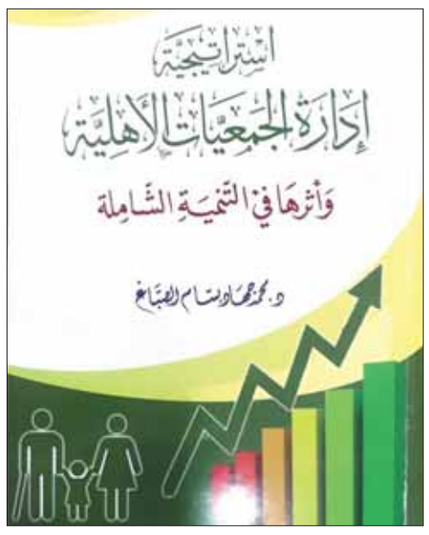

### العمل الخيري

جاءت الدراسة لتطل على العمل الخيري الأهلي بمقاصدها الإسلامية الإنسانية، غايتها الإنسان حياته وصحته وأمنه النفسي والاجتماعي، ولتضبط إيقاع هذا العمل الخيري من العشوائية إلى التنظيم متحدية الذهنية الموروثة والقائمة، ليدخل إليها من باب علوم الإدارة الحديثة والتنمية البشرية وإدارة مواردها، متعرضاً لنماذج ومستويات من الجمعيات العاملة في دمشق وما حولها في هذه الظروف، راصداً أداءها مصوباً بعلمية أكاديمية لمخرجاتها، ملمعاً ومثبتاً أن العمل الطوعي أضحى فناً من الفنون وتخصصاً إدارياً، ينبني على أسس في علم الإدارة والتنمية البشرية بعيداً عن العواطف من غير الإغراب والتغرّب عن البيئة أو الفكر أو الثقافة التي يعيش فيها ويعايش. وإن رمت تصنيف هذه الدراسة في خانة علم أو فن من الفنون، قد تصنف بعلم الإدارة ويمكن تصنيفها في دائرة العلوم الاجتماعية أو علم الاجتماع الإداري الذي تميز بالتأصيل الفكري الإسلامي.

### المجتمع الأهلي

في تعريفه للمجتمع الأهلي يقول الصباغ: هو مجتمع مستقل إلى حد كبير عن إشراف الدولة المباشر، ويتميز بالاستقلالية والتنظيم وروح المبادرة الفردية والجماعية والعمل التطوعي والحماسة من أجل خدمة المصلحة العامة، وفي عمله العلمي اهتم الصباغ بمعالجة الواقع واستخلاص عبره لاستشراف المستقبل، هذا البعد الغائب الذي لم يعطه الباحثون ما يلزم، وفي غرسه معالم عن طريق نجاح العمل الأهلي ككل الأعمال، أكد الباحث ضرورة الإفادة من التقنيات الحديثة مثل الحاسوب، وسائل الإيضاح والشرح، وبرامج التواصل الاجتماعي، وأنظمة الترميز، والتركيز على المعلومات الإدارية وبثها وأفضل طريق لها هو التلاؤم مع منتجات العالم المعرفي.

إن ملامسة محمد جهاد الصباغ لأحد شرايين الضعف في المجتمع العربي خاصة والإسلامي خاصة، تجلت بتعرضه للعمل الفردي والابتعاد عن العمل الجماعي، ومن عوامل الضعف في العمل الأهلي ضعف التمويل ومرد ذلك إلى انعدام الثقة من المتبرعين بالجمعيات الأهلية.

### النهوض بالجمعيات الأهلية

للجمعيات الأهلية رؤى حضارية، ترتكز على مفهوم التنمية الشاملة بكل مناحيها الاجتماعية والاقتصادية والتربوية، وغير ذلك فالأصل في عمل الجمعيات الأهلية يجب أن يتجه لبناء الإنسان وحمايته من عوامل التخلف وهي الفقر والجهل والمرض، والعمل على دعم الأمن الغذائي والمأوى الأمن والإصحاح (الصرف الصحي). وهذا البحث هو محاولة للتعريف بأصول إدارة الجمعيات الأهلية وأهدافها، وواقع العديد من الجمعيات وأسباب إخفاق الكثير منها مع كثرة إمكانياتها ومؤسساتها، وجمع القوى وتوجيهها باتجاهها الصحيح، والتخطيط لدعم نقاط القوة والقضاء على نقاط الضعف للنهوض بواقع الجمعيات الأهلية.

ولكي تتمكن الجمعيات الأهلية من النهوض في المجتمع يجب توفر عوامل كثيرة منها الإدارة والتخطيط والخبرة والمستوى العلمي العالي، والمصداقية والشفافية، مما يدفع بالجمعيات الأهلية للارتقاء إلى العمل المؤسساتي ذي النظام الإداري الناجح. من هنا تأتي أهمية هذا البحث الجامعي ليفصّل الحديث عن العمل الأهلي الذي يُعنى بالجانب التنموي في مختلف صوره ودلالاته لاسيما أن العالم الإسلامي والعربي يعاني من أزمات متعددة والتركيز على سورية حالياً التي تعاني من أزمة عميقة واسعة عجزت المؤسسات الإنسانية العالمية عن إيجاد حلول لما أصابها، وهذا يتطلب مزيداً من الجهود المتضافرة التي ينبغي أن تتحد فيما بينها إدارة وعناصر، وإن اختلفت تسمية هذه الجمعية عن الأخرى.

من أجل ذلك تم التأكيد على ضرورة التزام الجمعيات الأهلية بتنفيذ أعمالها عن طريق التخطيط والتنظيم عبر العمليات الإدارية، وصولاً إلى الأهداف المحددة والارتقاء بالعمل الإداري ووضع خطة إستراتيجية تتجه إليها الأنظار في مرحلة التنفيذ، فالعمل الأهلي له موقع مهم في الميدان الاقتصادي والنشاط الاجتماعي، وكل ذلك يتطلب فكراً إدارياً وعملاً مؤسسياً وإستراتيجية واضحة المعالم وإرادة صادقة وعاطفة إنسانية.

### مشكلات

في الواقع، هناك قصور كبير في عمل الجمعيات الأهلية التي تنشط في سورية، في هيكلها الإداري والتنظيمي والتنفيذي، لذلك بات من الضروري العمل على تجاوز هذه الأخطاء التي تعرقل العمل الأهلي والمجتمعي في هذا البلد الذي ينزف من ٢٠١١، وأن تكون هذه الجمعيات وتلك المنظمات التي تعنى بالعمل الأهلي باباً من أبواب الخير لكل من يقصدها، وهذا هو الهدف من وجود تلك الجمعيات والمنظمات، وأحد السبل المهمة لإنقاذ الإنسان المحتاج هو العمل الجماعي، وهذا جزء من عمل الجمعيات الأهلية التي يقوم على إدارتهامن يفتقر القدرة على إدارة هذا العمل بشكل جيد وفعال، مما يؤدي إلى ضياع الجهد، وهدر أموال كثيرة، فيقل النفع وإن استمرار الجمعيات بذلك الأداء يؤدي إلى فقدان الهدف المنشود من وجودها وإعراض الكثيرين عن دعمها.

وأحد أخطر ما يهدد عمل تلك الجمعيات تلك السلوكيات الخاطئة التي يقوم بها القائمون على إدارتها، لذلك قدم الصباغ بحثاً يقوم على تبيان تلك السلوكيات الخاطئة ووضع حلول يمكن من خلالها النهوض بعمل تلك الجمعيات وتحديد نقاط الضعف الموجودة في الأنظمة المعمول بها في تلك الجمعيات وكيفية التغلب عليها والبحث عن الوسائل التي يمكن من خلالها القضاء على ظاهرة تفشي المزاجية في أداء العمل عند المديرين والكادر الإداري في تلك الجمعيات والقرارات العشوائية في تنفيذها وفقدان المنهج الإداري في التنظيم والممارسة، فوقعت الجمعيات الأهلية بين إدارة فاسدة أو ضعيفة وبين مشرفين لا يعرفون علم الإدارة ولا يؤمنون بمبادئها، إضافة إلى فئة أخرى منتفعة أو أنانية، تشبع غريزة الأنا وحب الزعامة، أو خاضعة لقوى اجتماعية وسياسية، لذلك كان من الضروري إيجاد حلول فاعلة للمشكلات وهي نقص الفكر الإداري وسوء تطبيقه وعدم الاعتراف به أصلاً.

### الأهداف

ومن أهم ما يعترض عمل الجمعيات هو ما خلفته الأزمة من تدمير وتفتيت لتلك العلاقات التي كانت تحكم كل أطياف المجتمع، حيث لم تعد تلك العلاقات متزنة وتبنى على الثقة والأريحية ولذلك تم وضع أهداف البحث ومنها الوصول بالكوادر البشرية في الجمعيات الأهلية إلى أعلى مستوى من الأداء الفني والإداري وذلك من خلال إستراتيجية التدريب والتطوير والتأهيل للعاملين، والعمل على إعداد الكوادر الشابة إعداداً صحيحاً، وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص بين الجنسين حيث تصل تلك الجمعيات إلى الأهداف المبتغاة لتقديم خدمات أكثر كفاءة وفاعلية وبوسائل حضارية وأساليب إنسانية، ونشر إستراتيجية الفكر الإداري والتنظيمي للعمل الأهلي والشراكة المجتمعية، والتأكيد على أهمية العمل الجماعي، ومكافحة الفقر من خلال إتاحة الفرص لتوظيف الشباب والشابات في مؤسسات العمل الإنساني، ومكافحة الجهل الإداري، وعرض آليات عمل بعض من نماذج الجمعيات الأهلية في دمشق، وإستراتيجية بناء الإنسان السوري دون النظر إلى دينه أو طائفته وذلك من خلال مكافحة ثلاثية التخلف وهي الفقر والجهل والمرض للوصول إلى التنمية الشاملة، ونشر ثقافة التطوع بين الشباب والشابات وتطوير أدائهم، والتركيز على رعاية الأطفال ودعم الأسرة والتغلب على المشاكل، ومساهمة الجمعيات الأهلية في تحسين المستوى المعيشي للفرد ورفع المستوى التعليمي.

### تساؤلات

يختم الصباغ البحث بعدة تساؤلات: ما أهم الخطط الناجحة للنهوض بإدارة الجمعيات الأهلية؟ وكيف يمكن لهذه الخطط أن تكون فعالة وناجحة على أرض الواقع؟ وكيف يمكن إعادة هيكلة البناء التنظيمي للجمعيات الأهلية؟ وما الوسائل المتاحة للتنمية الشاملة في عملها؟ وهل حققت الجمعيات الموجودة في مدينة دمشق الأهداف المرسومة لها منذ نشأتها وإلى الآن؟ ما العقبات التي تعرقل عمل الجمعيات؟